مجلة التمكين الاجتماعي
المجلد 04 / العـدد 02 / جوان 2022 / ص ص 02 - 16

Journal home page: https://sej-lagh.com
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/644

الاتجاه البيولوجي والسيكولوجي في تفسير سلوك العنف والجريمة في المجتمع: قراءة نقدية

The biological and psychological trend in explaining violent and criminal behavior in society: critical reading

أمينة أقنيني

Amina Aguenin

مخبر التمكين الاجتماعي والتنمية المستدامة بالبيئة الصحراوية _ جامعة الأغواط (الجزائر): البريد الالكتروني: a.aguenini@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: 2022/05/12 تاريخ القبول: 2022/06/18 تاريخ النشر: 2022/06/30

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن بعض التفسيرات البيولوجية و السيكولوجية لسلوك العنف والجريمة في المجتمع، حيث قدمت التفسيرات البيولوجية منظورا جديدا في تفسير الظاهرة مستندين روادها في ذلك على الخصائص البيولوجية للفرد وسماته الفيزيقية في ظهور سلوك العنف و الجريمة إلا أن هذه الأخيرة تعرضت لانتقادات شديدة منها أنه يصعب الجزم بأن الانسان يولد مجرما بالفطرة، و الدليل أن هناك أشخاص أسوياء لديهم نفس الخصائص البيولوجية للمجرمين ، كما أن هذه التفسيرات تفتقد إلى سلامة المنهج العلمي في الطرح. أما التفسيرات النفسية للسلوك الإنساني فهي تحتل مكان مميزة في العلوم الاجتماعية وخاصة في تفسير سلوك العنف و الجريمة، إلا أنها تعرضت هي الأخرى لانتقادات مختلفة ونخص بالذكر نظرية التحليل النفسي التي رأى الباحثون أنه لا يوجد دليل علمي واضح على وجود علاقة بين الحالة الداخلية الذاتية للعقل والسلوك العنيف. كما ان هذه التفسيرات أهملت العوامل الاجتماعية والثقافية في تحليلاتها، خاصة وأن السلوك الانساني عموما هو بالمقام الأول نتيجة الخبرات الاجتماعية ولا تحدده النزعات والغرائز كما تدعي هذه النظريات.

كلمات مفتاحية: عنف، جريمة، اتجاه بيولوجي، نظرية لمبروزو، تكوين اجرامي، اتجاه نفسي، نظرية معرفية، نظرية سلوكية.

ABSTRACT:

This study aims to reveal some biological and psychological explanations for the behavior of violence and crime in society. Biological explanations provided a new perspective in explaining the phenomenon, relying on the biological characteristics of the individual and his physical characteristics in the appearance of violent and criminal behavior. However, the latter have been severely criticized, including the fact that it is difficult to say that human beings are born criminals by nature, and the evidence is that there are bad people who have the same biological characteristics as criminals, and these explanations lack the soundness of the scientific method of presentation. Psychological interpretations of human behavior occupy a distinctive place in the social sciences, especially in interpreting violent behavior and crime. However, they have also been subjected to various criticisms, especially the theory of psychoanalysis, which researchers believe that there is no clear scientific evidence for a relationship between the internal self-state of the mind and violent behavior.

These interpretations neglect social and cultural factors in their analysis, especially since human behavior is primarily the result of social experiences and is not determined by instincts or tendencies, as these theories claim.

Keywords: *violence, crime, biological trend, Limbrozo theory, criminal formation, psychological trend, cognitive theory, behavioral theory.*

- المؤلف المرسل: أمينة أقنيني، البريد الالكتروني: a.aguenini@lagh-univ.dz

1-مقدمة:

حاول الكثير من المنظرين تفسير ظاهرة العنف والجريمة عبر مراحل زمنية مختلفة وفهم الأفراد الممارسين لهذا النوع من السلوك، لذلك تعددت الآراء واختلفت المداخل النظرية التي تناولت سلوك العنف والإجرام بالدراسة والتحليل من تخصص علمي لآخر (بيولوجية ،نفسية، اجتماعية،...)، لذلك فإنّ دراسة العنف والجريمة والعوامل المؤدية لهم تجعلنا نقف عند أهمّ النظريات والمحاولات التفسيرية التي قدمت تفسيرا لأهمّ أسباب هذا السلوك ومن أهمّها: التفسير السوسيولوجي و التفسير البيولوجي ، والتفسير النفسي للظاهرة و سنحاول من هذا المقام أن نتطرق إلى الاتجاه البيولوجي و النفسي في تفسير الظاهرة حتى نقف على وجهات نظر مختلفة غير السوسيولوجية التي قدمت تفسيرات نظرية و علمية لسلوك العنف والجريمة داخل المجتمع.

ويهتم التفسير البيولوجي لسلوك العنف والجريمة بالعوامل البيولوجية في الكائن الحي كالصبغيات والجينات الوراثية والهرمونات والجهاز العصبي المركزي واللامركزي والغدد الصماء والتأثيرات البيوكيميائية، والأنشطة الكهربائية للمخ و غيرها... بينما يهتم التفسير النفسي لسلوك العنف والجريمة فيهتم بجوانب النفس البشرية وسمات الشخصية للفرد ودورها في ممارسة هذه السلوكات، حيث تحتل التفسيرات النفسية للسلوك الإنساني مكانة مميزة في العلوم الاجتماعية وخاصة في علم الجريمة، وتشترك مجمل النظريات النفسية في مجموعة من الافتراضات أهمّها: أنّ الفرد هو وحدة التحليل الأولية وأن الشخصية الجزء الرئيسي للدافعية في الشخص، فالشخصية هي مصدر النزاعات والدوافع. أما الجريمة فهي نتيجة السلوك الشرطي غير مناسب أو نتيجة لعمليات عقلية مضطربة أو غير مناسبة في الشخصية. لذلك فإنّ التفسيرات النفسية للعنف والجريمة تتناول في مجملها دراسة شخصية الفرد من سمات نفسية كالمشاعر، الذكاء وصفاته الشخصية كالجنس والسن وغيرها...وبناء على ما سبق يمكن لنا ان نطرح التساؤلات الآتية التي سنحاول الإجابة عليها لاحقا في هذا البحث:

- كيف قدمت الاتجاهات البيولوجية تفسيرات لسلوك العنف و الجريمة في المجتمع؟ وما هي الانتقادات التي وجهت لهذه الطروحات ؟
- كيف قدمت الاتجاهات النفسية تفسيرات لسلوك العنف والجريمة في المجتمع؟ وما هي الانتقادات التي وجهت لهذه الطروحات؟

أهداف البحث:

- يهدف هذا البحث إلى محاولة التعرف على بعض الاتجاهات النظرية البيولوجية والنفسية في تفسير سلوك العنف والجريمة في المجتمع.
- الكشف عن بعض العوامل البيولوجية والسيكولوجية المساهمة في ظهور سلوك الجريمة و ارتكاب سلوك العنف لدى الأفراد من وجهة نظر أصحاب هذه الاتجاهات.
- الكشف عن مواطن القوة في هذه النظريات وعرض أهم الانتقادات التي تعرضت إليها وجعلتها نظريات قاصرة في تفسير سلوك العنف والجريمة في المجتمع.

2-مفاهيم الدراسة:

2-1- العنف:

جاء في معجم المصطلحات الاجتماعية أنّ العنف:" هو الإيذاء سواء باليد بالفعل أو بالكلمة في الحقل التصادمي مع الآخر، وهو حالة لا يمكن دراستها بعيدا عن أسبابها وموجباتها ومبرراتها، ومساراتها التاريخية، ومن ناحية أخرى فالعنف يمكن اعتباره

حالة مركبة من حيث الظهور وإيذائها أو ترابطاتها، أو حالة ذاتية لها موضوعها (الأنا في مواجهة الآخر)" (خليل أحمد، 1994، ص 281_282) . كما يعرف سلوك العنف على أنه استخدام القوة المادية من أجل إلحاق الأذى بالآخرين أو بممتلكاتهم وهو أنواع العنف الرمزي و المادي و اللفظي...(Gilles Ferréol et al,2011 , p299)

وفي سياق متصل نجد "ابن خلدون" يرى بأن العنف هو من أخلاق البشر وهو نزعة طبيعية، حيث يقول:" ومن أخلاق البشر فيها الظلم و العدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه فقد امتدت يده إلى أخذه إلاّ أن يصده وازع"، ثم يقول:" إن الحرب و المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصب لكل منها أهل عصبيته، فإذا تذمروا لذلك وتوافقت الطائفتان، أحدهما تطلب الانتقام في الأكثر إما غيرة ومنافسة وإما عدوان، وإما غضب لله ولدينه...." (ابرهيم الحيدري،2015، ص 52).

أمّا كارل ماركس فيرى بأنّ العنف "ما هو إلاّ الأداة والمولد الحقيقي لكل مجتمع حديث ينشأ من طيات مجتمع قديم، فالعنف هو الأداة التي تحل بواسطتها الحركة الاجتماعية، ويحمل أشكالا سياسية جامدة ومتينة، ويكون التغيير عنيفا بالضرورة في حالة الطبقة الرأسمالية، لأنها تعلم أنها تنفي الطبقة المحكومة والإنسان الذي تحكمه، فهي إذا تسلبه نتاج عمله وتنفيه اقتصاديا، وأنّ الطبقة العاملة منفية في العالم الاقتصادي، فهي إذن تمثل انعدام الطبقات ولا يسعها في هذا المقام إلاّ أن تكون ثورية مطالبة لنفسها لهذا الشكل الذي قضت عنه، لذا ستكون عنيفة" (فليب برو وآخرون، 1985، ص 95).

وعليه فإنّنا نستنتج أنّ ماركس يرى بأنّ العنف هو مصدر عنف مضاد يتم من خلاله تحرير الطبقة العاملة التي تعاني من ظلم وقهر الطبقة الرأسمالية الحاكمة فهو بذلك عنف يسعى من خلاله تحرير الشعوب من القمع والسيطرة، واستغلال الطبقة الرأسمالية، فهو بذلك يعد ثقافة راسخة لدى الماركسيين حيث يجعلون من السلوك العنفي في هذا السياق سلوكا مقبولا ومسموحا به وحتى مقررا اجتماعيا. لذلك كان العنف لديهم له غاية وهدف ويتمثل في تغيير الأوضاع الاجتماعية والسياسية....

أما عالما الاجتماع الأمريكيان " هـ جراهام H.Graham" و " ت.جير T. Guirt" فيذهبان إلى القول بأنّ العنف هو:"سلوك يميل إلى إيقاع أذى جسدي أو خسارة مالية، بغض النظر عن معرفة ما إذا كان السلوك يبدي طابعا جماعيا او فرديا" (ف. دينوف،1982، ص119) .

إذن فالعنف بوصفه ظاهرة فردية أو مجتمعية، هو تعبير عن خلل ما موجود في سياق صانعها، سواء تعلق الأمر بالجانب النفسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي، دفعه هذا السياق الذي يعانيه نحو استخدام وتبني خيار العنف الذي قد يحقق متطلباته أو أهدافه سواء كانت النفسية أو المادية. غير أنه في حقيقة أمره ما هو إلاّ انتهاكا صريحا لحقوق وحرية الآخر، وانتهاكا أيضا لقوانين الضبط الاجتماعي لأي مجتمع الذي حددت فيه أنماط التعامل في إطار العلاقات الاجتماعية لأن العنف بمختلف أشكاله يعمل على عرقلة الحياة الاجتماعية والتنموية خاصة.

ويقول عدلي محمد السمري عن العنف بأنّه: " سلوك يصدر من فرد أو جماعة تجاه فرد آخر أو آخرين، ماديا كان أم لفظيا، إيجابيا أو سلبيا، مباشرا أو غير مباشر، نتيجة للشعور بالغضب أو الإحباط أو الدفاع عن النفس أو الممتلكات أو الرغبة من الانتقام من الآخرين، أو للحصول على مكاسب معينة، يترتب عليه إلحاق أذى بدني أو مادي أو نفسي بصورة متعمدة بالطرف الآخر" (عدلي السمري، 2000 ، ص 03)، لذلك يمكن أن نستنتج من هذا التعريف المقدم بأنّ العنف هو عبارة عن سلوك يهدف لإيذاء الآخر سواء كان مادي أو معنوي، نتيجة لمشاعر غضب أو إحباط مسيطرة على الفرد الممارس للسلوك العنفي.

من خلال استقراء التعريفات السابقة فإنه يتضح لنا بأنّ معنى العنف الأساسي من المنظور السوسيولوجي هو عدم الاعتراف بالآخر فهو كل عملية إيذاء بالقول أو بالفعل للآخر، سواء كان هذا الآخر فردا أو جماعة ، فهو سلوك في جوانبه النفسية يحمل معاني التوتر والانفجار، تسهم في تأجيجها داخل الفرد أو الجماعة عوامل كثيرة، أبرزها هذا العالم الحديث المنقسم على نفسه والذي يعيش فيه إنسان اليوم عالم التناقضات السياسية والاقتصادية والعقائدية ، فهو إذن سلوك تحركه جملة من العوامل أهم ما ينتج عنه هو أذى للآخرين، ويستند إلى استخدام غير المشروع للقوة كوسيلة وحيدة للضغط على الآخر وظلمه.

2-2- الجريمة:

جاء في معجم العلوم الاجتماعية مفهوم الجريمة على أنها " خرق للقوانين، أو بشكل أدق خرق للمعايير الاجتماعية التي أصبحت تحت حماية الدولة وطائلة الجزاءات القانونية بموجب عقوبات، ومن ثم فإن تعريف الجريمة يؤدي دورا قويا في الاندماج /التكامل الاجتماعي لأنه يرسم الحدود الأساسية للسلوك في المجتمع (كريغ كالهون،2021، ص 271).

وفي التعريف النفسي والاجتماعي للجريمة نجدها تعرف على أساس أنها: "سلوك ينتهك القواعد الأخلاقية التي وضعت لها الجماعة جزاءات سلبية تحمل صفة الرسمية" (عبد المجيد سيد أحمد و زكريا الشربيني،2003، ص 32) ، فالجريمة من المنظور الاجتماعي هي كل ردّ فعل يخالف الشعور العام للجماعة، وهي كل فعل فردي أو جماعي يشكل خرقا لقواعد الضبط الاجتماعي التي أقرّها المجتمع، والذي يمكن التعبير عنه بمجموعة القيم والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع (حسن اسماعيل،1993،ص 97)،وهذا التعريف يوافقه إلى حدّ ما التعريف الذي يقدمه " إميل دوركايم" حول الجريمة فيعرفها بأنها: " كل فعل أو امتناع يتعارض مع القيم والأفكار التي استقرت في ضمير الجماعة" (Emile Durkheim,1977,p67).

إنّ تحديد مفهوم الجريمة له عدة اتجاهات قانونية، نفسية، اجتماعية، وعموما هي كل فعل أو امتناع من فعل يرتب له القانون عقوبة جنائية، وهي الخروج عن المبادئ وقواعد السلوك التي يحددها المجتمع لأفراده وهي من الوقائع الاجتماعية التي لازمت المجتمعات البشرية منذ أقدم التاريخ،

2-3-علاقة العنف بالجريمة:

إن العنف هو تعبير صارم عن القوة التي تمارس ضد الآخر بهدف إلحاق الأذى به سواء كان هذا الأذى مادي أو معنوي وحيث أنّ الجريمة هي سلوك يخالف القانون وهي تحدث ضررا بالأفراد والممتلكات رغم أنها قد لا تكون مصحوبة بعنف بالضرورة، ومن هنا يظهر التداخل الواضح بين مفهوم الجريمة ومفهوم العنف، ويمكن رصد الفرق فيما بينهما على اعتبار أنّ العنف أكثر اتساعا من الجريمة، حيث يشتمل على تلك التي لا يعاقب عليها القانون، بل إنّ بعضهم قد يكون مرغوبا فيه اجتماعيا عندما يكون منظما من خلال معايير المجتمع(سعد الخولي وعادل عبد الله محمد،2008، ص 114). لذلك فإنه لا وجود للجريمة إلا حيث توجد العقوبة القانونية على ذلك، في حين أنّ سلوك العنف لا يعاقب عليه دائما، إلاّ إذا كان سلوك العنف ينتج ضمن السلوكات التي يحددها ذات المجتمع بأنها سلوكات مخالفة للقانون وجب المعاقبة عليها.

3- الاتجاه البيولوجي في تفسير سلوك العنف والجريمة: في هذا الاتجاه الذي سوف نركز على نظرية لمبروزو في الجريمة، ونظرية " دي تيليو" وكذا نظرية انحرافات الدماغ:

3-1- نظرية "لمبروزو" في الجريمة:

سيزار لمبروزو "Cesare Lombroso" (1835_1909) (طبيب إيطالي- أستاذ الطب الشرعي والعقلي) يدعى أب علم الجريمة الحديث، قام بالعديد من البحوث إلا أن الشهرة جاءته بعد نشره كتاب الإنسان المجرم سنة 1878، حيث أقر بوجود

علاقة بين الصفات الجسدية و العقلية و الجريمة منذ الولادة حيث وضع نظريته المفسرة للجريمة خلص فيها إلى القول بأنّ الجريمة ترجع إلى تشنجات عصبية تدفع إلى ارتكاب أفعال عنيفة بل إنّه اعتمد في صياغة نظرياته عن الجريمة على دراسة حالة أشخاص اتسموا أساسا بارتكاب جرائم عنف عديدة، فقد توصل من خلال نتائج بحوثه ومقارناته إلى أن الإنسان المجرم يختلف عن الإنسان العادي في التكوين الجسماني والوظيفي الداخلي، وهذا النقص في التكوين يؤثر بدوره على التكوين النفسي ويؤدي بالفرد إلى ارتكاب الجريمة مثلما يرتكب المصابون بالأمراض العقلية والعصبية أفعالا إجرامية تحت تأثير النقص العقلي(جمال معتوق، 2008، ص91).

ويذهب لمبروزو إلى أنّ المجرم يحمل غالبا بعض العلامات "الصفات الارتدادية" التي ترده إلى الإنسان المتخلف (الإنسان البدائي)، وهي بذاتها قد لا تؤدي إلى ارتكاب الجريمة ما لم تندمج في شخصية صاحبها، ومن هنا غلب "لمبروزو" دور الوراثة على ما عداها من عوامل وقد انتهى إلى أمرين أساسيين:

الأول: أنّ الصفات الارتدادية (الصفات الخلقية) الخالقة معه تتوافر لدى معظم المجرمين لا لدى جميعهم.

الثاني: أنّ الوراثة وحدها لا تؤدي إلى الجريمة، وإنما تؤدي إلى توافر ميل نحو الجريمة، ما لم يكن مقترنا بعوامل معينة، قد تكتسب بعد الميلاد (عدلي السمري،2009، ص 74) . ومن أهمّ ما استمر به "لمبروزو" في وصفه للمجرم هو تقريره بإمكانية التعرف عليه بواسطة صفاته العضوية الظاهرة، كعدم انتظام وتشابه نصفي الوجه، كبر زائد في أبعاد الفك وعظام الوجنتين، تشوهات في العينين، كبر زائد أو صغر غير عادي في حجم الأذنين، التواء الأنف أو اعوجاجه، عيوب في التجويف الصدري وغيرها من الصفات والقياسات التي اعتقد بأنّ أصلها خلقي أو وراثي، ووصف "لمبروزو" هؤلاء بأنّهم متخلفون حضاريا أي بمعنى أنّهم متخلفون بالنسبة لمراحل التطور البشري (غير بعيدين عن مرحلة الحيوانات حسب نظرية داروين) (جمال معتوق،ص91).

وحيث أن كل فعل جريمة هو في أصله فعل عنف، فإن " لمبروزو " قد ميز بين خمسة طوائف من المجرمين الممارسين لأفعال العنف الوحشية و هي :

1_المجرم بالولادة: فإلى جانب خصائص بيولوجية مختلفة عن الإنسان العادي كاختلاف حجم وشكل الرأس مقارنة بالنمط الشائع في سلالة المنطقة التي ينتمي إليها، و عدم انتظام و تشابه نصفي الوجه و كبر زائد في أبعاد الفك و عظام الوجنتين و تشوهات في العينين و كبر زائد أو صغر غير عادي في حجم الأذنين يماثل أذني الشمبانزي و غيرها من الخصائص الجسمية ، إلى جانب الخصائص النفسية كانعدام أو ضعف الإحساس وعنف المزاج و الاندفاع و التهور و الشعور الدائم بعدم الاستقرار النفسي و الاجتماعي.

2_المجرم المجنون: وهو يربط هنا بين هذا النمط من المجرمين والأمراض العقلية وينصح بعلاجهم أو التخلص منهم.

3_المجرم بالعادة: وهو ذلك الشخص الذي تعود ممارسة العنف والجريمة نتيجة لعوامل ومسببات بيئية وليس بسبب تكوينه الجسدي وهنا نلاحظ بأن " لمبروزو" لم يهمل أثر البيئة في السلوك العنيف إلا انه لم نجده يعطيها حقها من الانتباه وتبقى الحتمية البيولوجية هي السبب الرئيسي للجريمة والعنف.

4_المجرم بالصدفة: ويتميز هذا النمط من المجرمين بعدم وجود ميل واضح نحو الإجرام لديه وهو يرتكب الجريمة بسبب مؤثرات خارجية لا يستطيع تقديرها بشكل سليم فيقع في الجريمة وهذا النمط يسهل علاجه.

5_المجرم بالعاطفة: وهذا النمط يرتكب جرائم عنف لأسباب عاطفية مثل الحب و الغيرة و الحقد والدفاع عن الشرف وهو يتسم بالحساسية المفرطة التي يصعب مقاومتها(عايد عواد الوريكات، 2008، ص 80_81) .

وعليه نلاحظ بأن " لمبروزو" قد اتخذ الحتمية البيولوجية في تفسير ارتكاب الجريمة، إلا أنه ربط ذلك ببعض الخصائص النفسية التي أشار إليها كعنف المزاج و الطبع لدى المجرمين و بلادة الإحساس لديهم وعدم الشعور بالألم والاندفاع و الغيرة و الحقد هي أيضا أسباب تدفع بأصحابها إلى ممارسة الجريمة والعنف.

2-3- نظرية "دي تيليو Di tillio " في التكوين الإجرامي:

أما النظرية التي نادى بها " دي تيليو" Di tillio (باحث جنائي إيطالي) عام 1945 التي أطلق عليها نظرية " التكوين الإجرامي" أو الاستعداد السابق للجريمة وجد أن أحد المؤشرات السلوكية الأساسية في المجرم بالتكوين تتمثل في الميل إلى العنف والكسل والشذوذ في غريزة القتال والدفاع وهذا الشذوذ يكون مصحوبا عادة بخلل في وظائف الجهاز العصبي ويزيد من حدّته وحساسيته ما يؤدي إلى ارتكاب الجرائم(عبد الله عبد الغني غانم،2004، ص66).

وكان" دي تيليوDi Tillio" يشبه السلوك الإجرامي بالمرض فكما أنّ إصابة الجسم ترجع إلى ضعف مقاومته للجراثيم، فكذلك الجريمة يتوقف ارتكابها على ضعف قوة الفرد على التكيف مع مقتضيات الحياة الاجتماعية نتيجة لخلل عضوي ونفسي يتمثل فيه الاستعداد الإجرامي، ويرى الباحث هنا أنّ عدم القابلية للتكيف مع البيئة الاجتماعية يرجع إلى نوعين من العوامل، النوع الأول مصدرها النمو العاطفي المعيب للشخص بسبب ظروف داخلية تتصل بطاقته الغريزية، وما يصحب ذلك من عدم تقبل مثل هذا الشخص للقيم الاجتماعية المكتسبة والتوافق مع الأنماط الاجتماعية السائدة، أمّا النوع الثاني يتضمن عوامل ترجع إلى العيوب الجثمانية الناجمة عن الوراثة أو الهرمونات أو التهاب المخ، ومن شأن هذا النوع أن يخلق شخصية سيكوباتية لا يوجد لديها القابلية للتوافق مع المجتمع بأي حال(علي عبد الله قهوجي،1985،ص 53) ، وعليه يمكن القول بأنّ أبحاث "دي تيليو" مشابهة إلى حدّ ما نتائج أبحاث لمبروزو والتي ركزت على وجود المجرم بالتكوين إلاّ أنّ "دي تيليو" أنكر أنّ التكوين العضوي وحده عامل للسلوك الإجرامي، وإنّما يشكل مع غيره من العوامل الاجتماعية عاملا مركبا للسلوك الإجرامي إلى جانب هذا يفسر بعض البيولوجيون سلوك العنف عند الأفراد بالشذوذ في التركيب الجيني أو التركيبة الوراثية، ففي الستينات والسبعينات من القرن العشرين جرت أبحاث مهمة عن تكوين الكروموزومات لدى الإنسان يحتوي على 46 وحدة صبغية- كروموزوم- منها 22 زوجا متشابه تشابها كليا (وكل صبغي أو كروموزوم يحتوي على المئات بل الآلاف ما يسمى بالأجنة أو مولدات الموروثات) في حين أنّ الزوج 23 من هذه الصبغيات هو زوج الصبغيات (الكروموزومات) الجنسية يختلف في خلية الذكر عنه عند الأنثى فهو لدى المرأة متشابهين (xx) وعند الرجل مختلفات (xy)، وقد أثبتت الدراسات أنّ الأفراد الذين يتميزون بالعدوانية والذين اعتقلوا بسبب ارتكابهم شتى أنواع العنف، تظهر لديهم في أغلب الأحيان حالات من الشذوذ في صبغياتهم الجنسية بحيث أن زيادة (x) واحدة أو اثنين قد تسبب تخلفا عقليا بينما زيادة (y) واحدة قد يكون لها تأثير في الغرائز الإجرامية، وقد لوحظ بالفعل وجود نسبة كبيرة من صبغية (xyy) بين المجرمين(عبد الله عبد الغني غانم،ص69). لذلك فقد حاول البعض الربط بين هذا الشذوذ وبين الميل إلى العنف والعدوان عند الذكر أو الأنثى، ورغم أنّ العلم لم يتوصل بعد إلى القطع بوجود صلة بين هذين المتغيرين (العنف والإجرام ككل من ناحية وهذا الشذوذ الكروموزومي من ناحية أخرى لوجود مثل هذا الشذوذ بين المجرمين وأيضا غير المجرمين، إلاّ أنّ السنوات الأخيرة كشفت عن تركيز كبير وانتشار واسع لتفسير العنف بإرجاعه إلى هذا الشذوذ في التركيبة الوراثية.

3-3- نظرية انحر افات وظائف الدماغ:

فسر أصحاب هذه النظرية سلوك العنف على أنّه يحدث بسبب انحرافات في وظائف الدماغ وقد استند علماء الأعصاب إلى معطيات التشخيص التي تمت باستخدام آلة قراءة الدماغ (FMRI)*، للكشف عن الإخطار، وعن طريق مشاهدة نماذج النشاط في أدمغة الأشخاص أثناء قيامهم بأنشطة متعددة والتفكير في أمور مختلفة، استطاع علماء الأعصاب وضع خريطة مفصلة لوظائف الدماغ، وتظهر الخريطة سلوكنا تتم عبر تفاعل وحدات قياس الدماغ، وهي كتل فردية أو مناطق نسيجية كل واحدة فيها مخصصة لوظيفة محدّدة بدقة، وباستخدام الخريطة كمخطط فإنّه يمكن الآن استخدام التصوير الوظيفي لإظهار الانحرافات (ليث محمد عبد الغني عياش، 2010، ص 23_24) ،الحاصلة في وظيفة الدماغ التي تؤدي إلى حدوث العنف و السلوكيات غير الطبيعية.

هذا بالإضافة إلى تفسيرات أخرى، تعلق الأمر بالنظرية الوراثية، كيمياء الدماغ** وغيرها من التفسيرات البيولوجية، إلاّ أنّ هذه الدراسات لا زالت تحتاج إلى تدعيم وبحوث لأنّ النتائج المتوصل إليها لا تعد حاسمة نظرا لأنها لا تعمّم على جميع الأفراد، فإذا كان العنف والعدوان يفسر باضطراب في الكروموزومات أو خلل وظيفي في الدماغ، أو اضطراب في الغدد فيما نفسر وجود أفراد عدوانيين وآخرين غير ذلك(عاديين)، أو العكس صحيح، فيما نفسر وجود مجرمين لا توجد لديهم أية اضطرابات في الغدد أو في الكروموزومات أو غير ذلك.

لقد أفرز هذا الاتجاه العديد من الدراسات في الفيزيولوجيا الجنائية، وساهمت في تنمية العديد من العلوم الجنائية نذكر بالخصوص الانثروبولوجيا الجنائية، علم العقاب، الطب الشرعي، علم النفس الجنائي، علم الاجتماع الجنائي، الجغرافيا الجنائية وغيرها من العلوم الأخرى. كما لا يمكن اليوم وبالرغم من التطور الهائل الذي عرفه علم الإجرام بشكل، إهمال أو القفز فوق إسهامات هذه المدرسة، فهي حاضرة بالرغم من التنوع النظري الذي عرفه علم الإجرام.

* تصوير مناطق الدماغ تشريحيا ويلتقط لها صور وهي تعمل:**Functional Magnétic Resonance Imaging**

** _ **كيمياء الدماغ:** وهو تفسير يربط بين الكيمياء والعنف حيث ربط الباحثين بين زيادة العنف وملوثات البيئة حيث إنّ ملوثات البيئة تدعم العنف مثل التعرض للملوثات السامة في مواد كيميائية ومعادن ثقيلة، يشكل خطرا على صحة الدماغ.

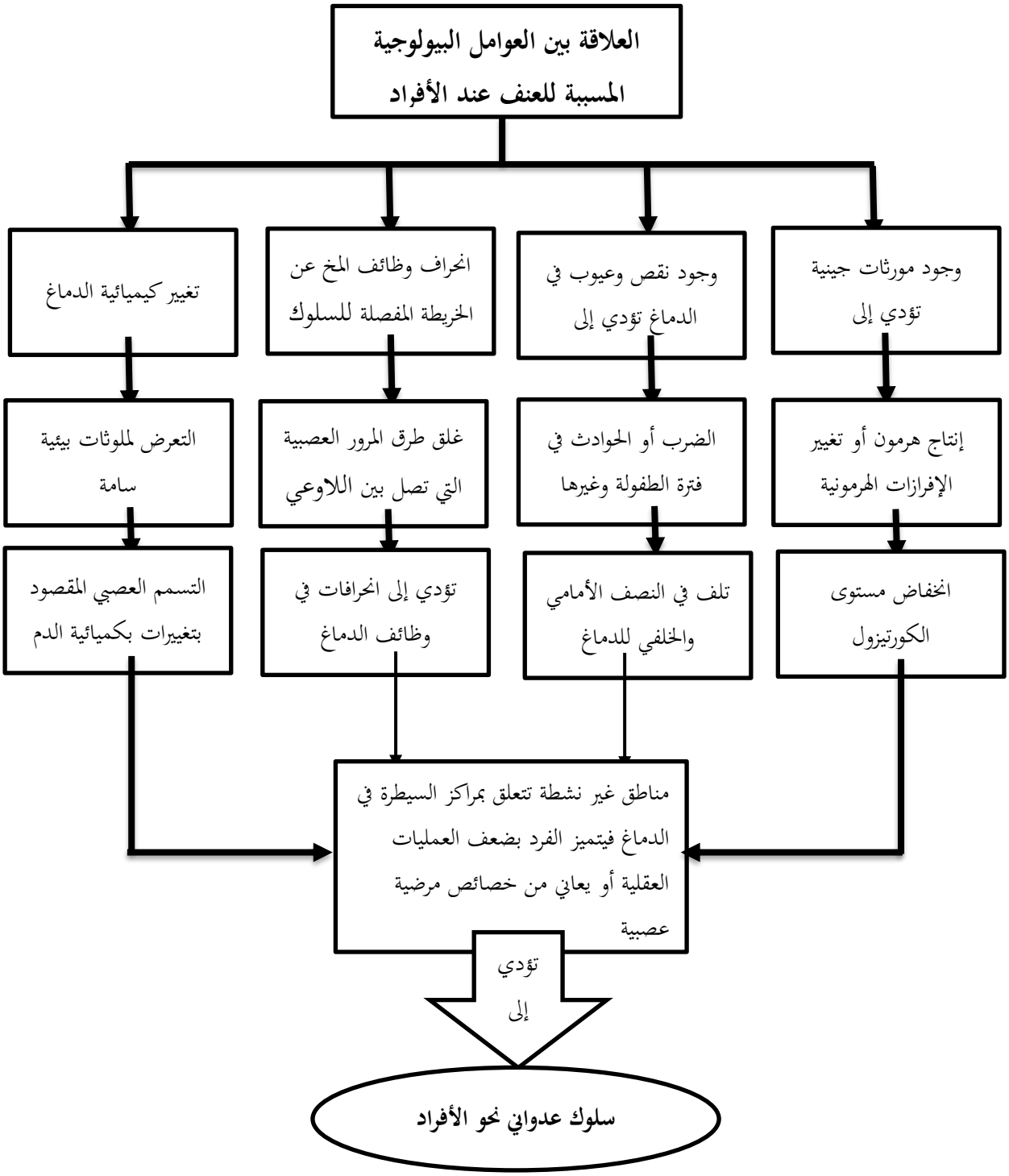

شكل 1. العوامل البيولوجية المسببة لسلوك العنف لدى الأفراد

(المصدر: ليث محمد عياش عبد الغني. 2010، ص 25)

4- الاتجاه النفسي في تفسير العنف والجريمة: من أهم هذه التفسيرات نذكر ما يلي:

4-1- نظرية التحليل النفسي(سيجموند فرويد):

تعتبر نظرية التحليل النفسي من النظريات الرئيسية في حقل علم النفس والعلوم الاجتماعية، وقد أسهم " سيجموند فرويد" (1852-1939) أكثر من سواه في وضع هذه النظرية، فقد جاء في كتابه " خلل الحضارة" أنّه " ليس الإنسان قطعا ذلك الكائن الطيب الذي يقال عنه إنه يدافع عن نفسه عندما يهاجم، بل إن الإنسان على العكس من ذلك فإنه يتحتم عليه أن يضع في حسابه معطياته الغريزية وهي الحصول على قدر كبير من العدوانية، حيث يعتبر بأن العدوانية ليست أمرا عارضا بل إنّها من مقومات الكائن البشري، ولقد افترض "فرويد" غريزتين أساسيتين في الإنسان، الأولى: هي غريزة " إيروس" "Eros" (أو إله الحب في الأساطير اليونانية) وهو ما سماه بغريزة الحياة وهي تتضمن مجموعة القوى الحيوية والدوافع الغريزية التي تهدف للحصول على اللّذة الجنسية وبقاء النوع، أمّا الثانية: فهي غريزة الموت أو الهدم ويصدر عن تفاعل هاتين الغريزتين جميع مظاهر الحياة وترتبط غريزة الهدم هذه بالعدوانية والعنف(عبد الله عبد الغني غانم،ص 90).

وبينما يربط تفسير "فرويد" بالعدوانية والعنف، حيث يرجع العدوان إلى ما اسماه بغريزة الهدم في داخلنا مع ترابطها أو تعارضها مع غريزة الحب والحياة حيث فسر ذلك بأنّ الشخص الذي يقاتل الآخرين وينزع إلى التدمير يعود ذلك إلى انّ رغبته في الموت قد عاقتها قوى غرائز الحياة، وقد تمتزج غرائز الموت وغرائز الحياة ومشتقاتها معا، فتلزم كل منها الأخرى بموقف الحياة أو يحل إحداهما محل الآخر، فالأكل يمثل امتزاج الجوع بالتدمير فيتحقق إشباعهما بأكل الطعام...(هول ولندزي،1983،ص 115).

وعليه فإن "فرويد" يرى بأنّ العدوان والعنف هو حافز فطري وظيفته إشباع حاجاته، ويظهر العدوان حين تبقى الحاجات بلا إشباع، كما يظهر في أي صورة من صور تأكيد الذات، وأنّ الذات السوية تعمل على التكيف والتوافق وإشباع الحاجات والدوافع الفطرية في ضوء الواقع الفعلي، وفشل الذات في إحداث هذا التوافق قد يؤدي بالفرد إلى أحد مصادر ثلاث وهي المرض النفسي، الجناح، العنف والعدوان لذلك فإنّ الإنسان الذي يريد لنفسه أن يتجنّب الصراع والتوتر عليه أن يشبع دوافعه البيولوجية دون أن يتأثر بها، ويشكل هذا الاتجاه النفسي صورة الصراع النفسي على أنها حرب تشنها أجهزة الشخصية، تلك الأجهزة التي صوّرها أصحاب مدرسة التحليل النفسي على الوجه التالي: (صبحي سيد صبحي،1984،ص53).

الهو: مركز الدوافع الجنسية ← تسعى إلى إشباع الغرائز دون مراعاة لمطالب الواقع.

الأنا : ترتبط بالواقع ← هناك من الدوافع ما يمكن إشباعه وما لا يمكن إشباعه.

الأنا الأعلى: الرقيب أو الضمير ← تراقب مطالب (الهو) وتعمل على كبح جماح الغرائز.

ومن علماء النفس التحليلي الذين اعتمدوا نظرية فرويد في تفسير الجريمة والانحراف نجد العالم (أبراهمسين Abrahamsen) والذي اعتقد أنّ **جرائم الشباب** ما هي إلاّ نتيجة **لصراعات بين "الأنا والأنا الأعلى" في الشخصية**، والمجرم هو ذلك الشخص الذي سيطرت عليه "الهو" ويعاني من عدم المقدرة على السيطرة عليها وكبح نزواتها وقد يكون مرد ذلك خبرات الطفولة السيئة وعدم مقدرة الأهل على توفير الحب والرعاية، فهؤلاء الأحداث يعانون من أنا ضعيفة غير قادرة على التكيف في المجتمع بشكل سويّ (عايد عواد الوريكات،ص119).

ويرى عالم النفسي التحليلي " أوغست أكورن August Aichorn" أن ضغوط الحياة وحدها غير قادرة على تفسير الحالة العاطفية للشباب، وهنا يأتي بمفهوم الأحداث الكامنين "Latent Delinquents"، هؤلاء الفتية التي تقودهم حياتهم الأسرية المضطربة للبحث عن الإشباع الآني لرغباتهم، بدون أية اعتبارات لمشاعر الآخرين ومعايير الخطأ والصواب(عايد عواد الوريكات،ص122) ، ويمكن أن نلاحظ هنا بأنّ هناك تركيز كبير على دور الأسرة كمؤسسة رئيسية في التنشئة الاجتماعية وأنّ فشلها سوف ينتج أحداثا منحرفين.

وعموما فإنّ " فرويد" رائد هذا الاتجاه يرى بأنّ العدوان ميل فطري في الإنسان، فالإنسان يكره أخاه بالفطرة وراء المحبة الظاهرة بين الناس عداء كامن مستور، فالظالم والعدوان من شيم النفوس، ومهمة المجتمع تهذيب هذه الميول العدوانية وترويضها، وعليه فإن أصحاب نظرية التحليل النفسي يرون بأنّ العنف والعدوان هو سلوك يعود أصله إلى اضطرابات في شخصية الفرد أو هو جزء من شخصية الفرد يعني أن العنف متأصل في الإنسان وهي نظرة تشاؤمية وكان " فرويد" يعطي مبررا نفسيا لكل شخص عنيف. والشكل2، يوضح وجهة نظر التحليلية في تفسير ظاهرة العنف.

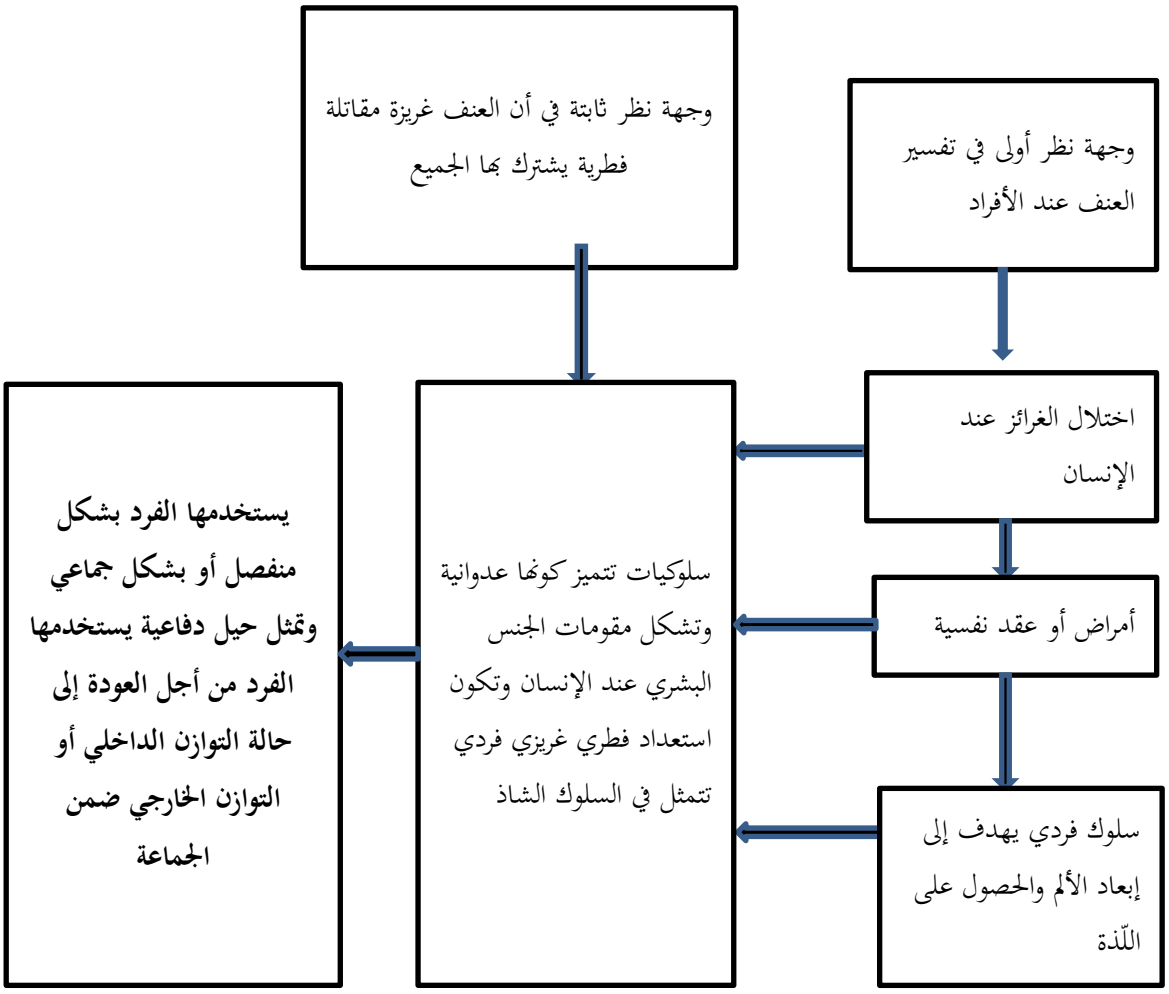

شكل 2. وجهة النظر التحليلية في حدوث سلوك العنف

(المصدر: محمد ليث عياش عبد الغني، 2010، ص 26).

2-4- النظرية السلوكية:

لقد رأينا سابقا بأنّ مدرسة التحليل النفسي قد ربطت بين مكونات الشخصية والعنف، حيث اعتقدت بأنّ السلوك الإنساني يسيطر عليه مجموعة من العمليات اللاعقلية اللاشعورية، أي حالة الصراع اللاشعوري المستمر، إضافة إلى أهمية السنوات المبكرة من حيث إشباع الحاجات الأساسية، إلاّ أنّ المدرسة السلوكية كمدرسة وضعية قد رفضت هذه التفسيرات، حيث لا يمكن قياسها والتأكد من صحتها، وبدلا من ذلك اقترحت أنّ الشخصية الإنسانية والسلوك الإنساني بشكل عام سلوك

متعلم من خلال عمليات التفاعل مع الآخرين ولقد اعتمدت هذه المدرسة على دراسات العالم الفيزيولوجي الروسي " بافلوفPavlov" والتي كانت حول أبحاثه المتعلقة بالإشراط الكلاسيكي تجربة الكلب والطعام وقرع الجرس وسيلان اللعاب، إلاّ أنّ المدرسة السلوكية الحديثة اعتمدت بشكل أساسي على أبحاث عالم النفس الأمريكي واطسون (watson 1878 -1958) وكذلك العالم" سكينر Skinner " الذين أقروا بأنّ التعلم يحدث نتيجة مثير خارجي، حيث يعتقد" سكينرSkinner" أنّ الشخص يتعلم من خلال ملاحظة ردّ فعل الآخرين على سلوكه، فالسلوك عادة ما ينشأ تحت تأثير مثير أو تغير في البيئة، وإذا كان ردّ الفعل إيجابيا ومعززا فإنّ هذا السلوك سيستمر ويتم تعلمه، أمّا إذا تمّ عقاب هذا السلوك فإنّه لن يتكرر أو يتم تعلمه وبالتالي سوف ينتهي(عايد عواد الوريكات،2008،ص124)،أي أنّ السلوك العدواني يزداد احتمالات حدوثه عندما تكون نتائجه إيجابية و معززة ومدعمة، وتقل احتمالات حدوثه عندما تكون نتائجه سلبية أو عقابية، ويتم علاج السلوكيات العدوانية بناء على تفسير هذه النظرية من خلال أساليب تعديل السلوك المختلفة، كالتعزيز والعقاب والعزل وغيرها (لا أحمد رشيد عبد الرحمن،2007، ص 31).

كما ترى هذه النظرية بأنّ الطفل في سنواته الباكرة يكتسب الأنماط السلوكية المختلفةِ، وذلك من خلال التدعيم والإثابة للاستجابات الإيجابية أو معاقبة الاستجابات غير المرغوبة، وتميل الاستجابات التي تمّ تدعيمها إلى أن تقوى وتتكرّر وتعمم على المواقف المتشابهة، أمّا الاستجابات التي يعاقب عليها الطفل فإنّها تختفي أو تضعف كما يقل حدوثها، وعلى سبيل المثال فإنّ إثابة الطفل على السلوك العدواني (الذكر) وعقاب الطفلة (الأنثى) على نفس السلوك يجعل من الطفل الذكر أكثر عدوانية عن الأنثى.

4-3- النظرية المعرفية:

يقوم الافتراض الأساسي للنظرية المعرفية على أساس أنّ سلوك الفرد يعتمد على الطريقة التي يدرك بها الموقف الاجتماعي أو دور العوامل المعرفية في القيام بالسلوك، فالأفراد ينظمون إدراكاتهم وأفكارهم عن الموقف بصورة تلقائية من خلال طرق بسيطة ذات معنى، وأنّ هذا التنظيم والإدراك والتفسير للعالم يؤثر بصورة جوهرية في كيفية استجابة الأفراد في الموقف الاجتماعي.

وبالرغم أنّ نظريات علم النفس المعرفي قد تباينت في طريقة تناولها وتفسيرها للعمليات العقلية التي تحدث داخل الدماغ، أذ أنّ بعضها يهتم بدراسة الإدراك الحسي وعمليات التنظيم المعرفي كما هو الحال في نظرية " الجشتلطية" في حين البعض الآخر يهتم بدراسة التغيرات النوعية والكمية التي تطرأ على العمليات المعرفية الإدراكية عبر مراحل النمو المختلفة مثل نظرية " جون بياجيه" في النمو المعرفي. وهناك أيضا نموذج معالجة المعلومات الذي يهتم بمراحل تناول المعلومات ومعالجتها داخل النظام المعرفي، إلاّ أنّها جميعا تشترك في تأكيدها على أهمية العمليات المعرفية ودورها في تحديد أنماط الفعل السلوكي الذي يصدر عن الإنسان، فهي جميعا ترى أنّ السلوك هو دالة لمثل هذه العمليات وليس مجرد ارتباط آلي ميكانيكي يتشكل بين مثير واستجابة (رافع الناصر زغلول وآخرون،2003،ص11).

ويرى روّاد المنظور المعرفي أمثال العالم " أفلين والترز" وكذلك زميله العالم " توماس وايت Walters and White" (1989) أنّ علم الجريمة قد أهمل الجانب أو البعد الإدراكي والمعرفي في الشخص، وفي هذا المجال لاحظ العالمان أنّ العوامل الاجتماعية والبيئية إمّا أن تضاعف من الفرص المتاحة للسلوك أو تضعفها وتحدّ منها، وهنا يبرز دور الطبيعة الإنسانية العقلانية التي تحدد شكل السلوك المنحرف، وهكذا فإنّنا نجد أنّ العالمين يريان أنّ الجريمة وأشكال العنف نتيجة للتفكير غير العقلاني وليس

للعوامل الاجتماعية أو الاقتصادية دور مهم سوى الحدّ من الخيارات الفردية المتاحة (عايد عواد الوريكات،2008، ص116_117).

تعدّ نظرية معالجة المعلومات من النظريات المهمة والحديثة في علم النفس المعرفي، حيث تعد ثورة علمية في مجال دراسة الذاكرة وعمليات التعلم الإنساني بالإضافة إلى دراسة اللّغة والتفكير، فنموذج معالجة المعلومات يختلف عن النظريات المعرفية القديمة من حيث أنّه لم يكثف بوصف العمليات المعرفية التي تحدث داخل الإنسان فحسب وإنّما حاول توضيح وتفسير آلية حدوث هذه العمليات ودورها في معالجة المعلومات وإنتاج السلوك فنظرية معالجة المعلومات تفترض أنّ استجابات الفرد لأية منبهات مثيرة للعدوان أو العنف، لا تعتمد على الهاديات التي يتضمنها الموقف فحسب، وإنّما تعتمد على أسلوب معالجة الفرد وتفسيره لهذه الهاديات، ولذلك يفترض " دودج" (Dodge) أنّ الاستجابات العنيفة تحدث نتيجة لخمس مراحل أو عمليات معرفية هي:

1- الاستقبال: ويتم في هذه المرحلة ترميز الهاديات الاجتماعية التي يتم استقبالها عبر الحواس.
2- التفسير: ويقوم الفرد في هذه المرحلة بتفسير الهاديات الاجتماعية وتقييمها مستعينا بالخبرات السابقة والمعلومات المتعلقة بهذه الهاديات وتوقعاته الاجتماعية.
3- البحث عن الاستجابة الملائمة: وتتضمن تكوين عقلي يعد تأويلا للمدرك الخام، ويكون هذا التمثل مخزونا في الذاكرة وله معنى مرتبط بها.
4- تقييم مختلف بدائل الاستجابة في ضوء النتائج المتوقعة واختيار الاستجابة الملائمة، ويتم تقويم البدائل المحتملة للاستجابة في ضوء محكات أخلاقية أو إدراك النتائج المرتبطة بكل استجابة.
5- مرحلة الاستجابة: أوضح "دودج" أنّه على الرغم من أنّ الاستجابات المحتملة أو الممكنة تعد ذاتية وخاصة بكل تقييم ولكن الاستجابة يحتمل أن يقوم بها الفرد بدون تقييم وبدون ضبط أي شكل، أي بشكل تلقائي ممّا يؤدي إلى استثارة انفعالية أو غير متوقعة(معتز سيد عبد الله،2005،ص 80).

وبالتالي يرى " دودج" أنّ الأفراد العدوانيين (والذين لديهم مخزون سلوكي مكثف للعدوان) يغلب الطابع العدائي على تفسيرهم للهاديات الاجتماعية الغامضة، مما جعلهم يسلكون بشكل عدواني أو عنيف يؤدي إلى إثارة عدوان الآخرين، وبالتالي تأكيد تصوّرهم حول عداء الآخرين لهم.

لقد ركز علماء النفس المعرفيون معظم دراساتهم وبحوثهم على الكيفية التي يدرك فيها العقل الإنساني وقائع أحداث معينة أي في المجال الإدراكي المتمثلة في مختلف المواقف الاجتماعية التي يتعرض لها ومدى انعكاساتها على الحياة النفسية للإنسان، مما يؤدي به إلى تكوين مشاعر الغضب والكراهية وكيف أن مثل هذه المشاعر تتحول إلى "إدراك" داخلي يقود صاحبه إلى ممارسة السلوك العدواني.

وبناء على ذلك كانت طريقة العلماء العلاجية للتحكم في مثل هذا النوع من السلوك العدواني من خلال التعديل الإدراكي، بمعنى تعديل إدراكات الفرد ويكون ذلك بتزويده بمختلف الحقائق والمعلومات المتاحة في الموقف مما يوضح أمامه المجال الإدراكي ولا يترك فيه أي غموض مما يجعله مستبصر بكل الأبعاد والعلاقات بين السبب والنتيجة(عصام عبد اللطيف العقاد،2001، ص 115_116).

ويقدم بارون تصورا آخر لتفسير السلوك العدواني أو العنيف في ضوء النظرية المعرفية وهو ما يوضحه الشكل التالي:

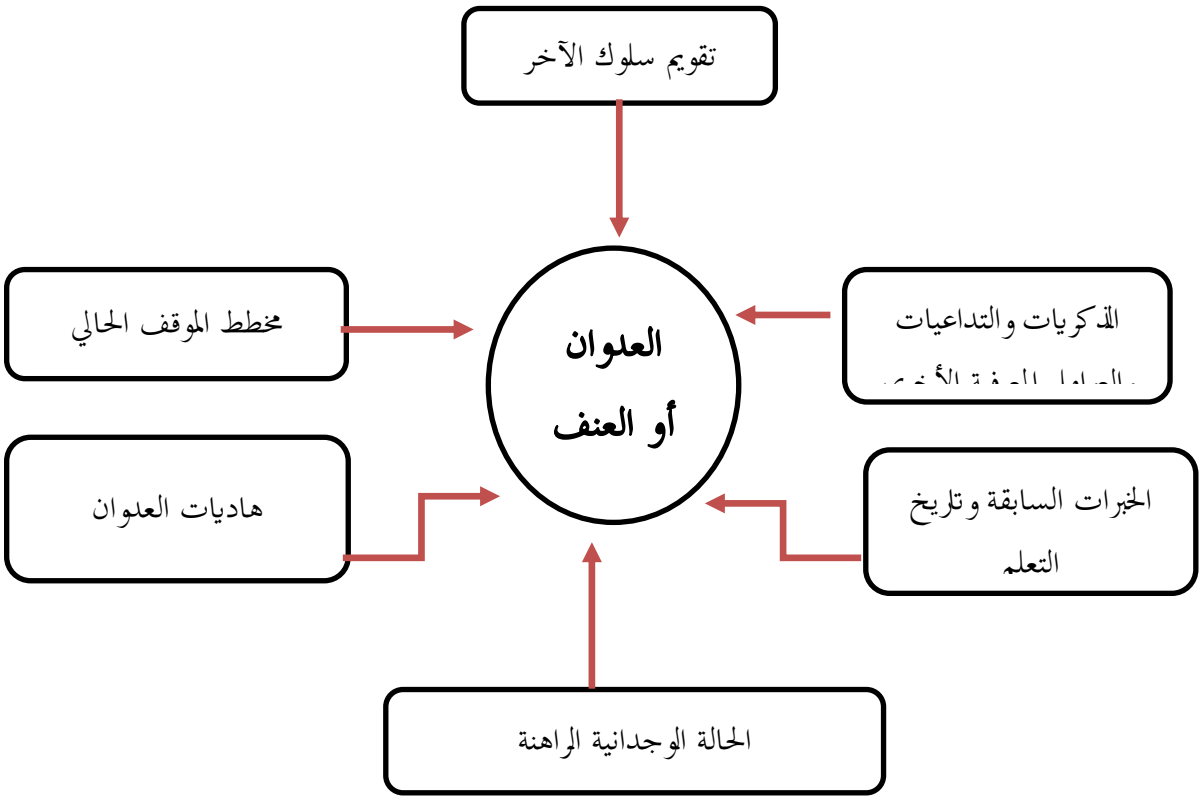

شكل 3. يمثل تصوّر"بارون" للعوامل المفسرة للعدوان أو العنف في ضوء النظرية المعرفية

(المصدر: معتز سيد عبد الله، 2005، ص 81)

قدّم " بارون" هذا النموذج المعرفي في إطار نظرية معالجة المعلومات الاجتماعية ودورها في تفسير السلوك العنيف حيث اهتم في نظريته بمتغير آخر أساسي ألا وهو متغيّر المزاج (الحالة الوجدانية الراهنة) باعتباره عاملا ذا تأثير قوي في تفسير الفرد للمنبه الاجتماعي، كما أنّه يتأثر بالخبرات السابقة غير السارة والذكريات المؤلمة التي ترتبط بمواقف تتشابه مع المواقف الراهنة، مما يفسر صدور الاستجابة العنيفة.

هذا ويرى بعض الباحثين المحددات التي تفترضها نظرية معالجة المعلومات الاجتماعية للسلوك العنيف تمثل (في واقع الأمر) امتدادا لما طرحته نظرية التعلم الاجتماعي حول مراحل اكتساب العدوان (الملاحظة، الافتداء، تلقي التدعيم، وتمثل رموز وصور هذا السلوك، والتوحد معه)، فيقرر " هيوسمان Heusman" أنّ ما نكتسبه من ملاحظة لعدوان الآخر هو نفسه المخططات المعرفية والتي تتضمن تقويما كيف يمكن ضبط سلوك الآخر، وفرص نجاح العنف وإمكانية أن يتلو العقاب أو المكافأة السلوك العنيف، وربما كان ما تقدمه هذه النظرية من تحليل معرفي للسلوك العدواني هو تحليل دقيق لإحدى مراحل اكتساب العدوان كما تقدمه نظرية التعلّم الاجتماعي وهي تمثل ما يلاحظ من عدوان تمثلا معرفيا، ولهذا يتنبأ " بارون" (Baron) بأنّه كلما زاد الضبط المعرفي للسلوك، زادت قدرتنا على تقليل احتمال صدور السلوك العنيف.

مما سبق يتضح لنا أنّ فهم السلوك الإنساني وكيفية حدوثه حسب وجهة نظر نموذج معالجة المعلومات يتطلب تحديد طبيعة العمليات التي تحدث على المعلومات والمثيرات أثناء مراحل معالجتها، حيث أنّ الفعل السلوكي هو محصلة لمثل هذه العمليات، وليس بمثابة استجابة آلية لهذه المثيرات.

وبالرغم من هذه الإسهامات المتعددة لنظرية معالجة المعلومات الاجتماعية، فإنها ركزت على جانب واحد فقط في تفسير العنف وهو التحليل المعرفي للسلوك العنيف، فالعنف يحتاج إلى صياغات أكثر ضبطا في تفسير هذا النمط المعقد والخطير من السلوك الذي تحدده عوامل متداخلة ومتفاعلة مع بعضها البعض(مجموعة من الباحثين،2004، ص 61).

6- قراءة نقدية للتفسيرات البيولوجية والسيكولوجية للسلوك العنف والجريمة:

قدمت النظريات البيولوجية منظورا جديدا يمكن من خلاله تفسير ظاهرة العنف و الجريمة في المجتمع، إلا أنها تعرضت لانتقادات كثيرة تنم عن عدم صلاحيتها في تفسير الظاهرة ولعل من أبرز الانتقادات التي تعرض لها " لمبروزو " وهو رائد المدرسة الوضعية الايطالية في تفسير الجريمة أن قول النظرية بوجود مجرم بالميلاد أو مجرم بالفطرة قول غير سليم، لأن السلوك يتحدد كونه إجراميا أو غير إجرامي وفقا لمتطلبات الحياة الاجتماعية، واستنادا إلى نص من نصوص قانون العقوبات، كما عنيت النظرية بدراسة أعضاء وشخصية المجرم فقط (العامل البيولوجي فقط)، و أغفلت دراسة جميع العوامل الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية. خاصة و أن كثيرا من صفات المجرمين البيولوجية كانت موجودة عند أفراد أسوياء وهذا و جعل النظرية البيولوجية لا تستند إلى أساس علمي خاصة في ظل غياب منهج علمي واضح من حيث وجود جماعات ضابطة وأخرى تجريبية.

أما النقد الذي تعرضت له نظرية التكوين الاجرامي " دي تيليو"، هو ان الإصرار و المبالغة على ضرورة وجود الاستعداد أو التكوين الإجرامي لدى كل من يرتكب جريمة هو أمر يصعب التسليم به بصورة مطلقة. فالتكوين الإجرامي لا يصدق إلا على الجريمة الطبيعية أو الأخلاقية، أما الجريمة القانونية فلا تقبل إطلاقا القول بوجود استعداد فطري لها، لأن الجريمة القانونية مخلوق قانوني نتيجة إرادة المشرع، ولذلك فإن فعلا ما قد يكون مباحا ومشروعا في وقت معين ثم يجرمه المشرع بعد ذلك أو العكس. على الرغم من ان هذه النظرية قد وضعت في اعتبارها _ بالإضافة إلى الاستعداد الإجرامي_ تأثير العوامل البيئية المحيطة بالمجرم حتى يحدث هذا الاستعداد أثره في ارتكاب الجريمة، إلا أنها قطعت بأن العامل الاجتماعي لا يحدث إلا إذا صادف تكوينا إجراميا. وموضع النقد هنا أن العوامل البيئية قد يكون لها وحدها دور مسبب الجريمة، مثال ذلك الزوج الذي يفاجئ زوجته متلبسة بالزنا فيقتلها في الحال ومن يزني بها، فالزوج ارتكب جريمته دون أن يكون ذلك راجعا إلى استعداد إجرامي ، و إنما ترجع الجريمة أساسا إلى العامل الخارجي (عدلي محمود السمري،2009،ص 87_88).

عموما فإن التفسيرات البيولوجية الحتمية للعنف و الجريمة حاولت أن تبين لنا أن المجرمين يختلفون عن الأسوياء سواء من حيث الصفات الجسدية أو التكوين الحيوي وكذلك الوراثة و غيرها (العامل البيولوجي)، إلا أن تلك النظريات غالبا ما عابها المنهج العلمي السليم، حيث اعتمدت في الغالب على المجرمين أو الحداث المحكومين دون الاعتماد على عينات ضابطة من المجتمع ، هذا من جانب و من جانب آخر لم تكن نتائجها شاملة وواضحة علاوة على صغر حجم العينات المدروسة.

تحتل التفسيرات النفسية للسلوك الإنساني مكان مميزة في العلوم الاجتماعية وخاصة في تفسير سلوك العنف و الجريمة، إلا أنها تعرضت لانتقادات شديدة ونخص بالذكر هنا نظرية التحليل النفسي التي رأى الباحثون أنه لا يوجد دليل على وجود ربط بين الحالة الداخلية الذاتية للعقل و السلوك العنيف. كما أن القول بأنت الشخصية تتكون من ثلاثة أجزاء وهي الهو والأنا والأنا الأعلى مسألة جدلية وقابلة للنقاش، كذلك لا يمكن الاعتماد على المقولة التي ترى بأن الجنس عامل كلي قادر على تفسير الصراعات الذهنية للأفراد. بالإضافة إلى أنها لم تراع هذه النظرية التأثيرات الثقافية وافترضت عالمية السلوك الإنساني (عايد عواد الوريكات،2008،ص 120).

أما النظرية السلوكية تعتبر أنّ السلوك الإنساني سلوك فطري منعكس أي أنّه عبارة عن فعل وردّ فعل (مثير-استجابة)، فهي لا تعترف بوجود استعدادات فطرية دافعة يرثها النوع الإنساني، بل بالعكس ربطت بين المنبه والاستجابة بصورة آلية محضة، دون الاهتمام لمشاعر الفرد وحالته النفسية، لذلك فهي تعتبر أنّ السلوك العدواني هو سلوك مكتسب والبيئة المحيطة بالفرد هي (المنبهات) المحدّد الرئيسي له، أي أنّ البيئة هي التي تسهم في تشكيل السلوك العنيف.

أما النظريات المعرفية فقد قدمت هي الأخرى منظورا جديدا من خلاله يمكن تفسير السلوك العدواني والعنيف، حيث أنّ العنف حسب هذه النظريات هو مرتبط بكيفية إدراك الفرد لوقائع وأحداث معينة، فإذا أدرك الفرد بأنّ ما يحدث له في مجتمعه هو ظلم وتعسف وحرمان له من حقوقه المتعددة فإنّه يكون مستعدا للدفاع عن هذه الحقوق من خلال السلوكات العنيفة، بينما أنه إذا أدرك أن كل ذلك هو أمر طبيعي قد يحدث في جميع المجتمعات وقد يعاني منه العديد من الأفراد فإنّ سلوكاته ستكون مرتبطة لهذا الإدراك، وهذا تفسير يحتاج إلى الكثير من الاهتمام ففي هذه الحالة نجد بأنّ السلوك العدواني مرتبط بفكر الفرد وإدراكه فإنّنا بحاجة إلى معرفة كيفية تغيير هذه الأفكار خاصة إذا كانت أفكار متطرفة من شأنها أن تشكل خطرا على الفرد والمجتمع.

7- خاتمة:

من خلال قراءتنا للإرث النظري الذي تناول محاولات عديدة لتفسير سلوك العنف و الجريمة كسلوك إنساني طبع على كل المجتمعات يمكن لنا الإشارة إلى فكرة مهمة، وهي أن كل النظريات و الاتجاهات النظرية المختلفة التي حاولت تفسير هذا السلوك باختلاف المجتمعات التي ينتمي إليها روّادها تؤكد لنا بان العنف و الجريمة ظاهرة مرتبطة بالعديد من الأسباب والعوامل المختلفة و ان سلوك العنف والجريمة في الحقيقة لا يرجع إطلاقا إلى عامل واحد فقط كالدافع البيولوجي أو النفسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي...، بل يرجع في نظر الباحثة إلى تظافر مجموعة من العوامل في معظم الأحيان، لكن تبقى هذه المساهمات العلمية و النظرية سواء البيولوجية أو النفسية في حقل دراسة العنف والجريمة قيمة نظرا لدورها المهم في محاولة تحليل و تفسير السلوكات غير السوية (العنف و الجريمة) للأفراد.

8- قائمة المصادروالمراجع:

إبراهيم، الحيدي. (2015). سوسيولوجيا العنف والإرهاب. ط1. بيروت. دار الساقي.

أحمد رشيد عبد الرحيم زيادة. (2007). العنف المدرسي. عمان. مؤسسة الوراق.

جمال، معتوق. (2008). مدخل إلى علم الاجتماع الجنائي. ط1. الجزائر. دار بن مرابط للنشر والطباعة.

حسن إسماعيل، عبيد. (1993). سوسيولوجيا الجريمة. لندن. شركة ميدلات المحدودة.

خليل أحمد، خليل. (1994). معجم المصطلحات الاجتماعية. بيروت. دار الفكر اللبناني.

رافع النصير، الزغلول وآخرون. (2003). علم النفس المعرفي. ط1. عمان. دار الشروق للنشر والتوزيع

صبحي سيد، صبحي. (1984). دراسات في الصحة النفسية. ط2. دم ن. المطبعة التجارية الحديثة.

عايد عواد، الوريكات. (2008). نظريات علم الجريمة. ط2. الأردن. دار الشروق للنشر والتوزيع.

عبد الله عبد الغني، غانم. (2004). جرائم العنف وسبل المواجهة. ط1. الرياض. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

عبد المجيد سيد أحمد، منصور وزكريا أحمد الشربيني. (2003). سلوك الإنسان بين الجريمة، العدوان، الإرهاب. ط1. القاهرة. دار الفكر العربي.

عدلي، السمري. (2000). سلوك العنف بين الشباب. ورقة بحثية مقدمة في الندوة السنوية السابعة "الشباب ومستقبل مصر". جامعة القاهرة.

عدلي، السمري. (2009)، علم الاجتماع الجنائي. ط1. عمان. دار المسيرة.

عصام عبد اللطيف، العقاد. (2001). سيكولوجية العدوان وترويضها. ط1. مصر. دار غريب.

علي عبد الله، قهوجي. (1985). علم الإجرام وعلم العقاب. بيروت. الدار الجامعية للطباعة والنشر.

فليب برونر وآخرون. (1985). المجتمع والعنف. ترجمة: الياس زحلاوي. بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

ديينوف، ف. (1982). نظريات العنف في الصراع الأيديولوجي. ترجمة: سحر سعيد. دمشق. دار دمشق للطباعة والنشر.

كريغ كالهون. (2021). معجم العلوم الاجتماعية. ترجمة: معين رومية. بيروت. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
ليث محمد عياش، عبد الغني. (2010). أنماط العنف الموجه نحو المرأة العراقية بعد الاحتلال الأمريكي للعراق وفق تنميط منظمة الصحة العالمية للعنف. دراسة مقدمة بمؤتمر كلية التربية الثامن. 20-22 نيسان، الأردن. جامعة اليرموك.
مجموعة باحثين. (2004). العنف بين طلاب المدارس: بعض المتغيرات النفسية، الارتباطات والمنبئات. القاهرة. المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.
معتز سيد، عبد الله. (2005). العنف في الحياة الجامعية. القاهرة. منشورات مركز البحوث والدراسات النفسية.
محمد سعد، الخولي وعادل عبد الله محمد. (2008). العنف في مواقف الحياة اليومية: نطاقات وتفاعلات. ط1. القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية.
هول، ولندزي.(1983). نظريات الشخصية. ترجمة. فرج أحمد وآخرون. القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية.

Emile Durkheim. (1977). Les règles de la méthode sociologique. Paris. P.U.F.
Gilles Ferréol et al. (2011). Dictionnaire de Sociologie.4e édition revue et augmentée. Tizi-Ouzou. Edition Mehdi.

- Arabic references in English:

Ibrahim, Al-Haidy. (2015). Sociology of Violence and Terrorism. 1st Edition. Beirut. Dar Al-Saqi.
Ahmad Rashid Abdul Rahim Ziyada. (2007). School Violence. Amman. Al-Waraq Foundation.
Jamal, Motouk. (2008). Introduction to Criminology. 1st Edition. Algeria. Dar Ben Morabitt for Publishing and Printing.
Hassan Ismail, Obeid. (1993). Sociology of Crime. London. Middle East Limited Company.
Khalil Ahmad, Khalil. (1994). Dictionary of Social Terms. Beirut. Dar Al-Fikr Al-Lebanani.
Rafe' Al-Nasir, Al-Zughoul et al. (2003). Cognitive Psychology. 1st Edition. Amman. Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution.
Subhi Sayed, Subhi. (1984). Studies in Mental Health. 2nd Edition. Modern Commercial Printing Press.
Ayed Awad, Al-Worikat. (2008). Theories of Criminology. 2nd Edition. Jordan. Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution.
Abdullah Abdul Ghani, Ghanem. (2004). Violent Crimes and Ways to Confront Them. 1st Edition. Riyadh. Naif Arab University for Security Sciences.
Abdul Majeed Sayed Ahmad, Mansour and Zakaria Ahmad Al-Sharabini. (2003). Human Behavior between Crime, Aggression, Terrorism. 1st Edition. Cairo. Dar Al-Fikr Al-Arabi.
Adly, Al-Samri. (2000). Youth Violence Behavior. A research paper presented at the Seventh Annual Symposium "Youth and the Future of Egypt". Cairo University.
Adly Al-Samri. (2009), Criminology. 1st Edition. Amman. Dar Al-Maseera.
Essam Abdel Latif, Al-Aqqad. (2001). Psychology of Aggression and its Taming. 1st Edition. Egypt. Dar Ghareeb.
Ali Abdullah, Qahwaji. (1985). Criminology and Penal Science. Beirut. University Book House for Printing and Publishing.
Philip Bruner et al. (1985). Society and Violence. Translation: Elias Zahlaoui. Beirut. University Foundation for Studies, Publishing, and Distribution.
F. Deynov. (1982). Theories of Violence in the Ideological Conflict. Translation : Sahar Saeed. Damascus. Damascus Publishing and Printing House.
Craig Calhoun. (2021). Dictionary of Social Sciences. Translation: Moueen Rumiya. Beirut. Arab Center for Research and Policy Studies.
Laith Mohammad Ayash, Abdul Ghani. (2010). Patterns of Violence Directed Towards Iraqi Women After the American Occupation of Iraq According to the World Health Organization's Typology of Violence. A study presented at the Eighth College of Education Conference. April 20-22, Jordan. Yarmouk University.
A Group of Researchers. (2004). Violence Among School Students: Some Psychological Variables, Correlations, and Predictors. Cairo. National Center for Sociological and Criminological Research.
Moataz Sayed, Abdullah. (2005). Violence in University Life. Cairo. Publications of the Center for Psychological Research and Studies.
Mohamed Saad, Al-Khouly and Adel Abdullah Mohamed. (2008). Violence in Daily Life Situations: Ranges and Interactions. 1st Edition. Cairo. Anglo-Egyptian Bookshop.
Hall, Lindsay. (1983). Theories of Personality. Translation. Faraj Ahmad et al. Cairo. Anglo-Egyptian Bookshop.